

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية العلوم الاسلامية

الالوان ودلالاتها الجمالية في القران الكريم

بحث تخرج تقدمت به الطالبة

فاطمة عدنان عطب

الى عمادة كلية العلوم الاسلامية - قسم علوم القران -

وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في العلوم الاسلامية

إشراف

م . د عمر هشام بهلول الدوري

٥١٤٤٢

٢٠٢١

الإهداء

قال تعالى (قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)
الهي لا يطيب الليل إلا بشرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ..
ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك .. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ..
ولا تطيب الجنة الا برويتك

الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة .. ونصح الأمة.. الى نبي الرحمة

محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .. إلى نور عيوني .. إلى من احمل اسمه بكل
افتخار ... أرجو من الله يرحمك ويسكنك فسيح جناته .. وستبقى كلماتك نجوم
أهتدي بها اليوم وفي الغد والى الأبد.

والذي العزيز رحمه الله

إلى ملاكي في الحياة ... الى معنى الحب وإلى معنى الحنان... إلى بسمه
الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي الى أعلى الحبايب

امي الغالية

إلى من كان سندي في كل خطوة ... إلى من كانوا برفقتي ومصاحبتي

اخواني و اخواتي

إلى منارة العلم والعلماء إلى الصرح الشامخ .. الجامعة الإسلامية إلى الذين
حملوا اقدس رسالة في الحياة الذين مهدوا لنا طريق العلم و المعرفة

اساتذتنا الأفاضل

المحتويات

المبحث الأول مفهوم اللون و مدلولاته وصفاته

المطلب الأول اللون ومدلولاته وصفاته

المطلب الثاني مفهوم اللون

المطلب الثالث أقسام الألوان وصفاتها

المبحث الثاني الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم

المطلب الأول اللون في القرآن الكريم مفرداً وجمعاً

المطلب الثاني دلالات الألوان في القرآن الكريم تنازلياً

المبحث الثالث وسائل نقل اللون في القرآن الكريم

المطلب الأول وسائل نقل اللون في القرآن الكريم

المستوى اللغوي

التراث

العصر

الطبيعة

الايديولوجيا

العامل النفسي

المكان والزمان

الرمز / الشفرة

الصورة المركبة والمفردة

المقدمة :

إن نعمة الدين هي من أجل النعم على الإنسان ، واساسها هو القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد تنوعت أساليب هدايته و وجوده إعجازه وهو مائدة العلماء الذين لا يشبعون منه ، يتجدد بتجدد الاحوال ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق بكثرة الرد .

و المتلقي لألوان القرآن الكريم ، لا يدرك أبعادها ، أو يقتنص مدلولها من دالها، إن كان في معزل عن البلاغة وفنونها ، لأن اللون يغلف حيناً بالرمز ، أو يقتنص بدلالة الاقتضاء ، إذ بفهم المحذوف من السياق ، أو حيناً بدلالة الإشارة وتارة بأفانين البلاغة المتعددة : من جناسٍ و مطابقة وتدييح ، وتارة تفهم دال اللون أو مدلوله باستقراء النفس الإنسانية ، في الرؤية والرؤيا ، وتارة تلحظ تراكيب صورة لونية ، منفردة حيناً ، أو متراكبة حيناً آخر ، فيبعث اللون الواحد فرحا لمتلق ، أو ترحا لآخر ، فبقرة صفراء تسر الناظرين لكنها غالية الثمن ، ما كادوا يدفعون ثمنها .

و تتغير دلالة اللون الواحد ، فإذا ما اعتقدت أن يد موسى البيضاء تشع كشمس تبهر فرعون وسحرته ، كمعجزة من تسع له ، ووجوه المؤمنين بيض يوم القيامة يبشرى الجنات ، فبياض الخير هذا ، لا يستمر فأوله على عيني يعقوب النبي اللتين ابيضتا من الحزن على ولده يوسف ، وملتقى الألوان في القرآن الكريم ، لا بد أن يستعين بطاقة اللغة وابنيتهما المتعددة : من نحو و صرف والتوقف عند آراء اللغويين والمفسرين ، ومناسبة النص أحيانا ، لاقتناص مدلولات دوال الألوان .

والأرض كلها ألوان و أضواء ، والسموات جميعها ألوان وأضواء ، والكون المنظور ، والأكوان غير المنظورة ، ألوان و أضواء ، و كل ما ينشأ من أجرام ويتكون من أجسام ألوان و أضواء وعالم الشهادة وعالم الغيب ، عالمان من ألوان و أضواء وحديث القرآن عن الألوان ومدلولاتها موضوع جدير بالدراسة لأنه لا يوجد – على حد علم الباحثة – دراسات تناولت هذا الموضوع بشكل جاد ، إلا مقالات متناثرة وأبحاث قليلة ، شأن دراسة محمد قرانيا التي تعد الدراسة الأولى .

التي تناولت ظاهرة اللون في القرآن الكريم (١) ، وهي ملحظة عملية غير كافية ، ويقال مثلها عن بحث سليمان الشعيلي عن الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم (٢) ، إذ فيه تناول الألوان التي وردت في القرآن الكريم ، وبين مواضعها في الآيات القرآنية وذكر تفسير الآيات التي وردت فيها اللون ولكن هذا البحث كان إشارات موجزة ، تحتاج لتفصيل ، ومثل ما كتبه الأستاذ نذير حمدان عن اللون والضوء بشكل عام ، يعد في درج الدراسات التي تناولت اللون (٣) ، أما كتب التفسير ، فلم تعن ببيان صورة الجمال والإعجاز للآيات التي وردت فيها ذكر الألوان ، وقصارى ما يذكره المفسرون هو بيان المعنى العام ، وما يرمز إليه اللون المستخدم في الآية على أن مثل هذه الآيات تحتاج إلى نظرة أخرى تظهر جمال الصورة الذي ترسمه الآية ،

وتتبع أهمية هذه الدراسة من مدى أهمية اللون - وهو أحد أهم عناصر الجمال في حياة البشر،

وقد اعتمدت هذه الدراسة على عدد متوافر من المصادر والمراجع العربية ، وذلك في الميادين المتصلة بمضمونها التي شكلت الباحثة قبسا ، فدخلت من خلاله الي موضوعها ، أما المراجع العربية الحديثة فإنها تشكل في مجملها دراسات سابقة استضاءت بها الباحثة ، اما المصادر القديمة فأفادت الدراسة من المؤلفات المتصلة باللون ومدلولاته وتفسير القرآن الكريم ومنها " المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم " ، وأعراب القرآن الكريم وبيانه لمحيي الدين درويش وتفسير ابن كثير ومعجم اللغة منها : لسان العرب لابن منظور .

وختمت دراستي هذه بخاتمة أوردت فيها اهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ، راجية من الله تعالى أن أكون قد وفقت في عملي هذا خدمة لكتاب الله المجيد ، وحسبي أني أخلصت النية ، وصدقت العمل ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنبت .

١ (قرانيا ، محمد (١٩٩٨) ظاهرة اللون في القرآن الكريم بحث نشر في مجلة التراث العربي العدد ٧٠ رمضان ، ١٤١٨ هـ كانون الثاني، يناير ، السنة الثامنة عشرة ، الإمارات

٢) الشعيلي ، سليمان بن علي ، (٢٠٠٧) الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ، المجلد ٤ ، العدد ٣ ، الشارقة ، الإمارات .

٣) حمدان ، نذير ، (٢٠٠٢) ، الضوء واللون في القرآن الكريم : الإعجاز الضوئي - اللوني ، ط١ ، دار ابن كثير ، بيروت .

المبحث الاول

مفهوم اللون و مدلولاته وصفاته

المطلب الاول : اللون و مدلولاته وصفاته

ان اللغة العربية نزول القرآن باللسان العربي ، لم تعد العربية اداة للثقافة اصبحت هي الثقافة ، فظلت خالدة بخلود النص القرآني ، وظل فهم النص القرآني لا يتم إلا على هدىً من اسرار العربية وطرائقها في الاداة ، فانصرفت جهود المسلمين الى فقه العربية وضبط الفاظها وتحديد معانيها ، حتى يكون الاحتكام الى منطقتها في محاولة معروفة مراد الله ، وقد بين علماء الاسلام خطورة الجهل بمذاهب العرب في القول على تحريف المدلول في فهم النص القرآني ومقاربة معانيه .

ونزول القرآن الكريم على قوم كان البيان صناعتهم ، ففاجأهم بأسلوب لا عهد لهم به ، فحاورا فب امره ، فهو وان تألف من كلماتهم وحروف لغتهم ، فإنه جاء بنظم متفرد ، يدركون حلاوته ، ويحسون بروعته ، دون ان يستطيعوا محاكاته ، وتحداهم مرارا ان يأتوا بمثله ، او حتى بسورة من مثله فعجزوا ، وقد شمل هذا التحدي الخلق اجمعهم ، ليس في البيات فحسب الذي هو صناعة العرب ، بل في واجه اخرى من اعجازه ، قال تعالى :- (قل لن اجتمع الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [١] ، هذا التحدي افقد القوم توازنهم ، ورشدهم فذهبوا يبحثون عن مخرج يحفظ ماء وجوههم ، مع قناعتهم بصدقه ، وحكى القرآن عنهم قولهم

(لو تشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين) [٢] .

وقولهم (ان هذا الا افك افتراه و اعانه عليه قوم اخرون) [٣] وقولهم

(اساطير الاولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة واصلا) [٤] .

١ (الاسراء : ٨٨

٢ (الانفال : ٣١

٣ (الفرقان : ٤

٤ (الفرقان : ٥

وكان للقرآن تأثير السحر على النفوس ، والا فما الذين دعا هؤلاء النفر الى التسلل مستخفين لسماع آياته ، و مواعظه وهم اشد القوم عنادا ، وانصرافا عن داعي الله ، ولئن انكر عنيد كأبي جهل هذا الاثر ، ورام التقليل من شأنه ، فان الشمس لا تغطي بغربال ، فهذا الوليد بن معترزة اعظم القوم رئاسة ، واكثرهم تذوقا لمعاني كلام العرب ، اعلن في صراحة قائلا : والله ما في قریش من رجل اعلم بالشعر ، او رجزه او قصيدة مني ، ولا والله ما يشبه الذي يقول محمد شيئا من هذا ، والله ان لقوله لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان اعلاه لمثمر ، وان اسفله لمُغدق ، وانه يعلو ولا يعلى عليه ، وانه ليحطم ما تحته [١].

هكذا يتحدث الوليد ، وهو الفصيح البليغ العالم بكلام العرب ، شعرهم ونثرهم، وهكذا يصنف القران ، ان له حلاوة ، وان عليه لطلاوة ... الخ ، وهو وصف دقيق ، صادر عن خبير عالم ، وعن تأثر عميق بآيات القران ، طغى على نفسه وانساه كفره ، وعناده ، فأجرى الله الحق على لسانه .

هذا هو القران يأسر القلوب بجمال نظمه ، وروعة معناه ، (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثنائي تقشعر منه جلود الذين يحسبون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) [٢] .

وان في تصوير القران ما يرتاح اليه السمع والبصر او ما ينفر عنه التصور من خلال دقة باعته لتصور القبيح ، كما في رسم مشاهد الكفار ، بالترغيب والترهيب ، وان هذه الغائبة تعتمد على فنون اللغة بغناها وتبث فيها روح السمو، فالقران معجزة بيانية [٣] .

وما يمهما في هذه الدراسة ، تلك الصور البديعة التي يعرض القران فيها جانبنا من جمال الخلق والطبيعة ، ففي سورة النحل مثلا قوله تعالى : (خلق الله السموات والارض

(١) الشعيلي ، الالوان ودلالاتها في القران ، ص ٥٦

(٢) الرمز: ٢٣

(٣) ياسوف ، احمد جمالية المفردة القرآنية ، دار المكتبي ، دمشق ط١ ، ١٩٩٤ ص ١٨ - ١٩

بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين * والانعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع وتاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وتسرحدون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم والخيال والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعملون [١] .

في الانعام دفاء من الجلود والاصواف والاوبار والاشعار، ومنافع في هذه وفي اللبن واللحم وما اليها ، ومنها تأكلون لحما ولبنا وسمنا ، وفي حمل الانتقال الي البلد البعيد لا يبلغونه الا بشق الانفس ، وفيها كذلك جمال عند الاراحة في المساء ، وعند السرح في الصباح ، جمال الاستمتاع بمنظرها فارهة ، رائحة صحيحة ، سميئة ، واهل الريف يدركون هذا المعنى بأعماق نفوسهم ومشاعرهم ، اكثر مما يدركه هل المدينة .

وفي الخيل والبغال والحمير، للضرورة في الركوب، وتلبية لحاسة الجمال في الزينة ، لتركبوها وزينة، هذه اللفتة لها قيمتها في بيان نظرة القران ، ونظرة الاسلام للحياة ، أما قوله : (ويخلق ما لا تعملون) تظل معجزة قائمة على مخلوقات لا يدركها الإنسان إدراكا تاما في أي عصر من عصور حياته. فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات من طعام ، وشراب وركوب، بل تلبية الاشواق الزائدة على الضرورات. تلبية حاسة الجمال ، ووجدان الفرح ، والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان [٢] .

ويعرض القران في هذه الآيات لوحات من الجمال الحسي ، ويعددها من النعم التي امتن بها على عباده، جمال الأنعام حين تسرح وتروح وايضا تلك التي لا تروح ولا تسرح ، وإنما تستخدم الركوب والنقل ، كالخيال والبغال والحمير، فلها جمال وزينة لا تقل عن الأولى في رواحها وشرحها ، وجمال الخيل لا يخفى وقد وصفها الله بالصافنات الجياد ، وبالعاديات ، ثم تعرض الآيات لوحة فنية أخرى لا تقل جمالا وروعة صورة الماء النازل من السماء ، والأنهار .

(١) النحل : الآيات (٣-٤-٥-٦-٧-٨) .

(٢) قطب ، سيد ، في ظلال القران، دار الشروق، القاهرة ، ط ٢٥ ، ١٩٩٦ ، ج ٤ / ص ٢١٦

المطلب الثاني

مفهوم اللون

أولاً : اللون لغة

فقد ورد معنى اللون في معجم لسان العرب أنه هيئة كالسواد والحمرة، ولونته فتلون ولون كل شيء ما فصل بينه وبين غيره ، والجمع الوان ، وقد تلون لون لونه ، والالوان الضروب ، واللون النوع ، وفلان مثلون اذا كان لا يثبت على خلق واحد ، واللون الدقل وهو : ضرب من النخل [١] .

ورد في الصحاح ان اللون : هيئة كالسواد والحمرة . ولونته فتلون . واللون: النوع فلان مثلون. اذا كان لا يثبت على خلق واحد . ولون البسر تلويينا ، إذا بدأ أثر النضج . وللون : الدقل ، وهو ضرب من النخل [٢] .

وقد اقتربت المعاجم العربية في إيراد معنى اللون ، فقد كان معنى يدور في أنه هيئة ، وضرب لذلك أمثلة من الألوان، وقد اكتفينا في إيراد معنى اللون في لسان العرب ومعجم الصحاح.

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . (ديب) . لسان العرب ، دار صادر ، بيروت لبنان ، مادة (لون) ، باب النون فصل للام .

(٢) الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (٢٠٠٥) . مختار الصحاح ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، باب (لون) .

أما الثعالبي فاحتوى كتابه " فقه اللغة " فصلين : أحدهما عن الألوان ومفرداتها الموظفة في لون البياض والسود والحمرة في الإنسان والحيوان ، كما عقد فصلا آخر عن ألوان النبات ، ومادته يسيرة غير انها مقتضية [١] .

وأما ابن سيده في كتابه " المخصص " فكتب فصلا عن النبات الذي يختصب فيه ، كما ذكر عدة ألوان تستخدم الملابس ، اعتمد على آراء عدد من اللغويين والنباتيين القدامى [٢] . وقال ابن سيده في معجمه : للألوان الثلاثة " احمر واسود وابيض أسماء مستعملة قريبة ، وأخر بالإضافة إليها وحشية وغريبة لا تدور في اللغة مدارها ، ولا تستمر استمرارها [٣] .

وفي تفسير ابن عاشور " الألوان جمع لون ، وهو عرض أي كيفية تعرض لسطوح الاجسام بكيفية النور كصفات مختلفة على اختلاف ما يحصل عند انعكاسها إلى عدسات العين من شبه الظلمة ، وهو لون السواد ، وشبه الصبح ، وهو لون البياض ، فهما الاصلان للألوان " [٤]

وقد ورد في القرآن الكريم بالمعنيين :

ففي قوله تعالى في وصف بقرة بني إسرائيل (فاقع لونها تسر الناظرين) [٥]. ويمكن القول أن اللون هنا يعني الصفة التي تقوم بالجسد من البياض ، والسواد وغيرها ، ومثل ذلك يقال في قوله تعالى في وصف العسل : (يخرج من بكونها شراب مختلفة ألوانه) [٦]

١ (الثعالبي ، أبو منصور عبدالملك (١٩٩٢). فقه اللغة ، وضبطه وعلق عليه : ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية صيدا ، ط١ ص ١٢١ - ١٢٩

٢ (ابن سيده أبو الحسن علي ابن اسماعيل ، (١٩٥٦) . المخصص ، المطبعة الكبرى الأميرية بولاق ، مصر ، مجلد ٢٠٩/١١ - ٢١١ .

٣ (ابن سيده ، المخصص ، ص ١٦

٤ (ابن عاشور ، الطاهر (٢٠٠٠) . التحرير والتنوير ، ط١ ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، ص ١٥٥

٥ (البقرة : ٦٩

٦ (النحل : ٦٩

وقوله تعالى (الم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض حمر مختلف ألوانها و غرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء أن الله عزيز غفور) [١] .

يذكر الله تعالى خلقه للأشياء المتضادات، التي اصلها واحد ، مادتها واحدة ، وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف ، ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته ، فمن ذلك : أن الله تعالى انزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات المختلفات . والنباتات المتنوعات ، ما هو مشاهد للناظرين ، والماء واحد، والأرض واحدة ، من ذلك الجبال التي جعلها الله اوتادا للأرض ، تجدها جبالا مشتبكة ، بل جبلا واحدا فيها ألوان متعددة ، فيها جدد بيض اي طرائق بيض ، وفيها طرائق صفر حمر وفيها غرابيب سود اي شديدة السواد جدا ومن ذلك : الناس والدواب ، والأنعام فيها اختلاف الألوان والاصناف والأصوات والهيئات ما هو مرئي بالأبصار، مشهود للنظار الكل من أصل واحد ومادة واحدة ، فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة الله تعالى ، التي خصت ما خصت منها ، بلونه ، و وصفه ، وقدره الله تعالى حيث اوجدها كذلك ، وحكمته ورحمته حيث كان ذلك الاختلاف وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع ، ومعرفة الطرق ، ومعرفة الناس بعضهم بعضا ، ما هو معلوم [٢]. وعلى المعنى الثاني ، اي الجنس ، أو النوع ، جاء قوله تعالى (ما درأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه) [٣] . وقال الألوسي [٤] " ألوانه اي اصنافه " وقال الراغب : " الألوان يعبر بها عن الأصناف والأنواع، يقال فلان يأتي بألوان من الحديث ، والطعام [٥] .

١) فاطر : ٢٧/٢٨

٢) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل (١٩٨١) . تفسير القرآن ، دار الاسراء عمان .

٣) النحل : ١٣

٤) الألوسي، شكري (١٩٨٥) . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط ٤ ، ج ١٤ ، ص ١١

٥) الأصفهاني، الراغب (١٩٩٢) . مفردات ألفاظ القرآن ، تحقق : صفوان داودي ط ١ ، دار القلم، دمشق ص ٧٥٢

وقوله : (فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) [١] ، ذكر الألويسي أيضا: " أن الألوان هنا تعني أنواعا من التفاح ، والرمان ، والعنب ، والتين " [٢] ولا شك أن تعدد الأصناف والأنواع يؤدي إلى تعدد ألوانها، فالثمار مثلا تختلف ألوانها باختلاف اصنافها، بيد أن ما يهمنا في هذه الدراسة هو المعنى الأول، وعليه سيكون التركيز في الورقات التالية .

ثانيا : اللون اصطلاحا : أما اللون اصطلاحا في الموسوعات الحديثة، ففيه تفصيل في ضوء تطور العلم فهو خاصية ضوئية على طول الموجة، ويتوقف اللون الظاهري لجسم ما على طول موجة الضوء الذي يعكسه [٣] . وتعدد الألوان في الطبيعة واختلفت و تقاربت ، وهناك عشرات الأسماء للتعبير عن اللون الواحد وهي تختلف باختلاف درجات اللون، وهو ما عرف قديما باسم إشباع اللون أو تأكيده [٤] . ويعود هذا الاختلاف في الأسماء والمسميات للون واحد باختلاف الحقل الدلالي الذي يرد فيه ، بالأبيض في الإنسان وقد يختلف عنه في الحيوان [٥] .

وكان العربي في العصر الجاهلي يلمس ادق الفروق في ألوان بيئته المحيطة ويعبر عنها في ادق المسميات [٦] .

واللون في الحقيقة هو طاقة مشعة لها طول موجي ، يختلف في تردده وتذبذبه من لون الي اخر ، وتقوم المستقبلات الضوئية في الشبكية باستقبالها ، ترجمتها إلى ألوان ، تحتوي الشبكية على ثلاث ألوان وهي الأخضر، والأحمر، والأزرق ،

(١) فاطر : ٢٧ .

(٢) الألويسي، روح المعاني، ج٢٢، ص١٨٩ .

(٣) غربال ، محمد شفيق و زملاؤه ، (١٩٨٦) . الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة لبنان، بيروت لبنان مج ٢، ص١٥٨١

(٤) خليفة، عبد الكريم، (١٩٨٧) الألوان في معجم العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، سنة ١١ . ص ٣٦-٣٧ .

(٥) أبو صفية، جاسر خليل، (١٩٩٠) . الدقة العلمية في مسميات الألوان في اللغة العربية. بحث قدم في مؤتمر العلمي حول الكتابة العلمية في اللغة العربية، بنغازي .

(٦) جبيري، شفيق، (١٩٦٧) . لغة الألوان، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ٢٠٠ .

وبقية الألوان تتكون من مزج هذه الثلاث وقد اكتشف العلماء أنه عندما تدخل طاقة الضوء إلى الجسم فإنها تنبه الغدة النخامية، والجسم الصنوبري مما يؤدي إلى إفراز هرمونات معينة تحدث مجموعة من العمليات الفسيولوجية، وبالتالي السيطرة المباشرة على تفكيرنا ، ومزاجنا وسلوكياتنا [١] .

المطلب الثالث

أقسام الألوان وصفاتها

أقسام الألوان وصفاتها .

تختلف الألوان فيما بينها نتيجة لاختلافها في مواصفاتها الأساسية من حيث كنهه و قيمة وشدته أما كنهه اللون : فهو الفرق الصريح بينها ، أما قيمته فهي درجة عتمته أو استضاءته

أما شده اللون : فهي درجة نقائه ومقدار خلطه مع ألوان أخرى .

وقد تنبه بعض علماء العرب ومنهم الجاحظ ، فرأى : أن الألوان كلها إنما هي من السواد والبياض ، والاختلاف على درجة المزاج بدليل قوله : " و زعموا أن اللون في الحقيقة إنما هو البياض والسواد ، وحكموا في المقالة الأولى بالقوة السواد على البياض ، اذا كانت الألوان كلها كلما اشتدت قربت من السواد وبعدت من البياض ، فلا تزال كذلك إلى أن تصير سوادا [٢] .

وبتفضل فإن اللون عن العرب ذو دلالات اجتماعية ونفسية ، وسنتناوله عند بعض العلماء منهم

١ - بلاغيو العرب ونقادهم .

٢ - فلاسفة العرب المسلمين.

٣ - فقهاء المسلمين .

٤ - مفسرو الأحلام .

١ (الشعيلي ، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، ص٦٢ .

٢) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، (١٩٦٩) . كتاب الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط٣ ، ج٥ ، ص ٥٩ .

كما أن جماليات اللون نالت خطأ في الدراسات الغربية منهم من فرق بين الأدب والرسم بالألوان ، ومنهم من ميز بين الأدب والفن ، ومنهم من درس العلاقة بين الشعر والفنون ، ومنهم من قارن بين الشعر والرسم الإيطالي، ومنهم من عد الألوان سارة للمتلقي فصنفها من حيث الترابط والاحساس الشخصي والموضوعي ونمط الشخصية ، و منهم من صنفها من حيث الخطاب اللغوي السيميائي، ومنهم من عدّها نتاجا تشكيليًا من خلال دوال لونية بواسطة التحليل الدلالي كما يلي مفصلة :

أما اللون عند العرب فله دلالات اجتماعية ونفسية ، وقد وردت عند أربعة اصناف من علماء العرب منهم :

أولا : اللون عند بلاغيي العرب ونقادهم

أما من أبرز بلاغيي العرب ونقادهم الذين تناولوا اللون ، فهم : الجاحظ (ت ٥٢٥٥) وابن طباطبا (٣٢٢ هـ) وابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) وعبد القاهر الجرجاني (٤٧٩ هـ) ، وحازم القرطاجني ت (٦٨٤ هـ) .

أما الجاحظ فيرى السعر صناعة وضربا من النسيج وجنسا من التصوير (١). ومثله ابن طباطبا الذي درس العلائق بين الفنون ، فعنده أن الشاعر الحاذق كالنساج الحاذق الذي يفوف وشبه بأحسن التفويف ويسديه وينيره ولا يهلهل شيئا منه فيوشك بالنقاش الرقيق الذي يصنع الأصباغ في احسن تقاسيم نفسه ، ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان (٢) .

وقال الجاحظ: وقد جعل بعض من يقول بالأجسام هذا المذهب دليلا على أن الألوان كلها إنما هي من السواد والبياض ، إنما يختلفان على قدر المزاج ، و زعموا أن اللون في الحقيقة إنما هو البياض والسواد ، وحكموا في المقالة الأولى بالقوة للسواد على البياض ، اذا كانت الألوان كلها كلما اشثدت قربت من السواد وبعدت عن البياض فلا تزال كذلك إلى أن تصير سوادا (٣) .

(١) الجاحظ كتاب الحيوان، ج ٣/١٣٢٠

(٢) ابن طباطبا ، محمد العلوي (١٩٥٦). عيار الشعر تحقيق : طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، القاهرة ، المكتبة التجارية، ص ٥-٦

(٣) انظر : الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج ٥ ، ص ٥٦ - ٦٢

أما ابن سنان الخفاجي فيرى أن تألف حروف الكلمة في السمع كتألف الألوان في مجرى البصر [١] .

بدأ عبد القاهر الجرجاني فذكر العلاقة بين الشعر والرسم ، وقال : " وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل معها الصور والنقوش ، فكما أنك ترى الرجل قد تهدف الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج الى ضرب من التميز والتخير، في النفس الأصباغ وفي مواقعها وتقديرها، وكيفية مزحه لها تريه ب اياها ، إلى ما لم يتهد إليه صاحبه ، فجاء نفسه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب (٢) فأكد الجرجاني التقارب بين صفة المبدع والرسام ، فكلاهما يقدم عمله حسيا ، ولعل حازم القرطاجني أشار بعده بقرنين إلى هذه العلاقة فقال عن المحاكاة " أن المحاكاة بالمسموعات تجري من السمع مجرى الملونات من البصر " (٣) .

كما أدرك عبد القاهر الجرجاني أن دلالة تنحو منحى نفسيا ، اذا ليست مقصودة لذاتها في الكلمة الليل التي شبه بها النابغة الذبياني ممدوحة النعمان بن المنذر، بل أنتحت منحى نفسيا .

فأنك كالليل الذي هو مدركي وان خلت أن المنتأى عنك واسع (٤) .

(١) ابن سنان ، ابو محمد الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٢ ، ٦٤

(٢) الجرجاني ، عبد القاهر ، (١٩٥٦) دلائل الإعجاز ، تصحيح السيد محمد رشيد رضا ، ط ٤ ، القاهرة : دار المنار ، ص (٧١) .

(٣) القرطاجني ، حازم (١٩٨١) ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم محمد الحبيب بن الخوجة ، ط ١ ، بيروت دار الغرب الإسلامي ، ص ١٠٤ .

(٤) ابن قتيبة ، ابو محمد عبدالله بن مسلم . (١٩٨٥) . الشعر والشعراء ، تحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ص ٨٤ والبيت من البحر الطويل . وقصد قدرة ممدوحة على الوصول الي كل مكان ، واختار الليل لأنه تعشى في نفسه التخوف منه ، ولم يشبهه بالنهار الذي يصل الي كل مكان يصله الليل فيقول الجرجاني : " اختصاصه الليل دليل على انه روى في نفسه ، فلما علم أن حالة إدراكه - وقد هرب منه - حالة سخط رأى التمثيل بالليل أولى . انظر : الجرجاني ، عبد القاهر ، (١٩٥٤) . أسرار البلاغة ، المعارف استنبول ، ص ٢٢٥ .

ثانيا : اللون عند فلاسفة العرب و المسلمين.

إن من أبرز الفلاسفة المسلمين الذين أدلوا بدلائهم في اللون ودلالاته : الكندي (ت ٢٦٠ هـ) ومحمد الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) ، وابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) ، والطوسي (ت ٦٢٧ هـ) .

فالكندي يرى أن الحس لا يدرك الصورة و إلا وهي في طبيعتها (١) ، وأما الفارابي فذكر خمس حواس ظاهرة وخمس حواس باطنة ، فالظاهرة هي تدرك المحسوسات الخمسة المعروفة ، ومن القوة الباهرة تحس الألوان والأشكال والأجسام (٢) .

ودلالة الألوان عند الفلاسفة المسلمين تتيح للنص جملة من الإيحاءات والرموز، إذا تعدى دلالة الألوان نطاقها الوضعي المطابقة إلى ما هو أعم ، حيث تتسع دائرة إيحاء اللون للتفسير والتأويل ، بتضمنها معان و رؤى أعم من المعنى الوضعي (٣) .

لقد عد الفلاسفة المسلمون المحسوسات من بين مقدمات المعرفة ومصادرها ، مع إيمانهم بأن الحس يدرك الكلي لا الجزئي ، وبواسطته يدرك العقل قضاياها المحسوسة أو المشاهدة ، كما أنه بواسطة الحس والقياس يدرك العقل المجريات (٤) .

ثالثا : اللون عند الفقهاء المسلمين

أما من أبرز الفقهاء الذين نظروا في اهمية اللون ، وتصدوا له في نطاق المحسوسة الحاضر إلى ما وراء الذهن فهم ابن حزم الأندلسي (ت.٤٥٦ هـ) في كتابه " طوق الحمامة " و" الأصول والفروع " أما في الأول " طوق الحمامة" فيرى أن اللون يتعدى الحس الخارجي ليتصل ب أجزاء النفوس النائية ، فقد يبالي بقوله أن المرأة البيضاء لزوج أبيض ترزق بولد أسود ، إذا دامت في مضجعها تطالع اللون الاسود بمعنى أن أثر اللون النفسي ، يتجاوز " سطح الحس " إلى باطن الإدراك ،

١ (الكندي ، يعقوب بن إسحق ، (د.ب) رسالة في حدود الاشياء ضمن رسالة الكندي الفلسفية ، (د.ب) ، (د.م) ، ج ١٦٧/١ .

٢ (الفارابي ، محمد بن طرخان ، (د.ب) ، الثمرة المرضية ، (د.ب) ، (د.م) ، ص٧٢-٧٣

٣ (نوفل ، يوسف حسن ، (١٩٨٥) ، الصورة الشعرية ، ط١ ، دار الاتحاد العربي ، (د.م) ص٧

٤ (العراقي ، عاطف ، (١٩٨٤) . ثورة العقل في الفلسفة العربية ، ط٥ ، ص٤٨ ، وما بعدها .

ويتصور للون بريقا وجاذبية ، تجذب مهما تحول النظر من خلف أو من أمام
يقول ابن حزم من الحبر البسيط :

من كنت قدامه لا ينتني ابدأ
ومن تكن خلفه فالنفس تصرفه
فهم إلى نورك الصعاد يعيشونا
إليك طوعا فهم دابا يكرونا
(١)

و لإيمانه بالنظرة الباطنية ، يستحسن من النساء البيضاء كما اسد حسنها من
قبل أبوه ، ويكره السواد لتداعي معانيها بجهنم والضلال ، فالشقران تعادل
النور و السوداء تعادل جهنم ، يقول من البحر الطويل :

يعيبونها عندي بشقرة شعرها
يعيبون لون النور، والتبر ضلة
فقلت لهم : هذا الذي زانها عندي
لرأي جهول ، في الغواية ممتد
وأبعد خلق الله من كل حكمه
مفضل جرم ، فاحم اللون مسود
به وصف ألوان اهل جهنم
ولبسه باك متكل الاهل ممتد (٢)

لقد تحول اللون الابيض الى اسود إلى دلالة اموية ، اذا تغيرت الرايات
البيضاء الاموية إلى سوداء عباسية فوجدت في نفسه تغيظا من تجولاتها .
وأما في كتابة " الأصول والفروع فرد رأي هشام بن الحكم الذي ذهب إلى
أن كل ما في العالم هو جسم ، وعليه فالألوان أجسام، لان الجسم اذا كان
طويلا عريضا عميقا فمن حيث وجدته وجدت اللون والحركة والطول
والعرض والعمق للون أيضا (٣) .

فيرد ابن حزم عليه بان الأبعاد الثلاثة ، الطول والعرض والعمق، ليست
للون بل هي للجسم حامل اللون وحدة ويرفض ما عداها ، وحجته " إذ لو كان
للون طول وعرض وعمق غير طول الجسم وعرضه وعمقه ، لاحتاج الى
مكان غير مكان الجسم على مقداره ، ومن المحال أن يكون شيئا ، طول كل
واحد منها مقدار ما يعان في مكان مساحته أحدهما، وهذا مالا سبيل اليه في
معقول (٤) .

(ابن حزم ، ابو محمد علي أحمد ، (١٩٩٨٠) طوق الحمامة في الألفة والآلاف ، تحقيق : صلاح
الدين دار المعارف ، القاهرة ، ص ٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

(٣) ابن حزم ابو محمد ، (١٩٧٨) . الأصول والفروع ، تحقيق محمد عاطف العراقي وزميليه ، ط١ ، دار النهضة العربية ج١/١٤٥ .

(٤) ابن حزم ، الأصول والفروع ، ج ١ / ١٤٦-١٤٨

رابعاً : اللون عند مفسر الأحلام

أما أبرز مفسري الأحلام فابن سيرين ، إذ عرض في الكتاب المنسوب اليه تفسير الاحلام الكبرى " منهجه ، ووزع تفسيره على تسعة وخمسين بابا في خمسمائة وست وستين صفحة لقد برز في تفسيره اللون ودلالاته كما أبرز منهجا نفسيا في تأويل الرؤيا ، وهما يستحقان ان نتوقف عند دلالات لهما مبسرة ، إذ قليل من الأمثلة يغنى عن استقصائها .

أما اللون فتوزع في ابوابه المتعددة نمتثل على ذلك بالقمر و دلالاته (١) ، فإن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رأته ثلاث أعمار سقطت في حجرتها، فقصة رؤياها على أبيها الصديق - رضي الله عنه- فقال لها : أن صدقت رؤياك دفن في حضرتك ثلاث : هم خير اهل الأرض " (٢) . وهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وعمر - رضي الله عنهما - فكان ذلك فيما بعد ، وابن عباس - رضي الله عنه - رأى كأن قمرا ارتفع من الأرض إلى السماء بأشطان ، فقصة على رسول الله ففسره الرسول الكريم بقوله : ذلك ابن عمك " يعني نفسه صلى الله عليه وسلم (٣) .

فلاحظ مما سبق ، سقوط ثلاث أعمار في حجرة عائشة ، يعادلون الثلاثة الاخيار ، هداة الحق وقد دفنوا في حجرتها ، وتحرك القمر صعودا إلى الملاء الأعلى وهو رسول الله . ويظل للقمر دلالة حتى عند ابن سيرين نفسه ، فتنقص عليه امرأة رؤاها وهو يتغدى ، تقول له : رأيت كأن القمر دخل الثريا ، وإذا بمناد ينادي ان أتى ابن سيرين فقصي عليه رؤياك " فقبض ابن سيرين يده عن الطعام .

(١) ابن سيرين ، محمد ، (١٩٩٦) . تفسير الاحلام الكبير ، دار الكتب العلمية، بيروت الباب ٣٨ ص ٢٨٧-٣١٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٨

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٨

وقال لها كيف رأيت ؟ فأعادت عليه فاربد لونه ، وقام وهو أخذ ببطء ، فقالت له أخته : مالك ؟ فقالت زعمت هذه اني رميت الى سبعة ايام ، فمات في السابع (١) .

فإذا كان القمر يرمز الى اختفاء عالم يهدي الناس يدخل في الثريا (القبر) فإن القمر رمز النور في الظلمات ، وليس دائما يهدي على هذا المنحى ، ذلك ان رجلا نظر الي السماء في رؤيا ، وتأمل القمر فلم يجده ، ونظر الى الارض فرأى القمر قد تلاشى فقص رؤياه على معبر ، فقال له : صاحب هذه الرؤيا هو صاحب كيمياء وذهب ، فيذهب ماله ، وان كان فقيرا فيسقط في الثرى . هذا ، وان رأيت امرأة سقوط قمر مات زوجها ، واتي رجل ابن سيرين يقول : رأيت كأن القمر في درانا ، فقال يزوركم السلطان ، وينزل بمصركم . وحكي ان قاضي مصر رأى الشمس والقمر اقتتلا ، فتفرقت الكواكب عليها ، فقص رؤياه على فاروق عمر - رضي الله عنه - فقال له مع أيهما كنت قال : مع القمر فقرأ عمر " فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة " (٢) فصرفه عن عمل حمص ، فقصي أنه خرج مع صف معاوية إلى صفين فقتل (٣) ونفهم ان دلالة القمر (عنصر النور) ، تتغير فالشمس ملك ، والقمر وزير ، وابن سيرين يعرف ذلك من سورة يوسف وما رآه .

(١) ابن سيرين، تفسير الأحلام الكبير ، ص ٢٩٨-٢٩٩ .

(٢) الإسراء : ١٢

(٣) ابن سيرين ، تفسير الأحلام الكبير ، ص ٢٩٧

المبحث الثاني

الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم

المطلب الاول : اللون في القرآن الكريم ، مفردا وجمعا .

ورد لفظ ألوان ومشتاقه في تسع آيات فقط من القرآن الكريم ، فقد ذكر لفظ الوان وهت جمع (لون) في القرآن الكريم في مواضع سبعة أيضا ولكن في ست آيات كإشارة من المولى عز وجل إلى الأطياف اللونية السبعة المعروفة التي يتكون منها الضوء الأبيض ، كما جاء ذكر لفظ لون مفردة مرتين في آية واحدة من آيات القرآن الكريم. ولقد وردت تلك في المواضع التالية :

أ - **لفظ لون** : يقول - تعالى :- (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) (١) .

ب - **لفظ ألوان** : اما ورده جميعا كان في سبع آيات توزعت على مخلوقات الله في الأرض مفصلة كما في قوله تعالى (وما ذراكم في الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لأية لقوم يذكرون) (٢) .

ووردت في الحديث عن النحل في سورة النحل في قوله - تعالى - (ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لأية لقوم يتفكرون) (٣) .

وعلى اختلاف الألسنة البشرية والوان الناس كقوله - تعالى - (ومن اتته خلق السموات والارض واختلاف السننكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) (٤) .

(١) البقرة : ٦٩

(٢) النحل : ١٣

٣) النحل : ٦٩

٤) الروم : ٢٢

وعلى الثمار المختلفة كما في قوله وعلى الجبال المختلفة الألوان ، كقوله تعالى (الم ترا ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها و غرابيب سود) (١) .

وعلى الناس والدواب كقوله تعالى : (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء أن الله عزيز غفورا) (٢) .

وعلى الزروع المختلفة الألوان ، كقوله تعالى (الم ترا ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما في ذلك لذكرى لأولى الألباب) (٣) .

المتبصر في هذه الألفاظ يجد في لفظي سورة البقرة تحديدا لماهية اللون ، في حين وردت الألفاظ السبعة الباقية مقترنة بلفظي المصدر (الاختلاف او باسم الفاعل المختلف) ويبدو واضحا ان اللون هنا يرتبط ارتباطا وثيقا بهذه اللفظة التي تدل على الفروق والتباين وتعدد المشارب ، لإظهار امرين هما :

الاول : قدرة الله سبحانه و تعالى وإعجازه فيما خلق من كائنات ومخلوقات ، وما يضيفي عليها من سمات و أوصاف في اختلاف الألسنة ، وتباين الناس في اللون والميل ، واختلاف الكائنات الأرضية الحية والنباتية والجمادة ما ينتج من البطون الجامدة والحية .

الثاني : دعوة الإنسان إلى التبصر والتفكر ، لان عددا من هذه الالفاظ اللونية قد سبق بقوله تعالى : " الم تر ان الله " وفي هذا دعوة صريحة للنظر بالعين ، والتفكير بالعقل ، والتبصر بالقلب ، لدراسة هذه الظاهرة التزيينية دراسة واعية نستخلص منها العبر والموعظة ، نقر فيها للخالق بالتفرد ، والابداع والإعجاز " (٤) .

١) فاطر : ٢٧

٢) فاطر : ٢٨

٣) الزمر : ٢١

والألوان هنا تأتي للتعبير عن " الاصناف " و " والأجناس " او " الهيئات " قال الطبري

في تفسيره لفظ ألوان : يعني أنواعا واصنافا مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم و أرز ونحو ذلك من الأنواع المختلفة (١) أو قد تأتي لتدل على اختلاف الطعم كما في سورة النحل (يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه) (٢) . وقال الزمخشري : ألوانها : اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر ، أو هيئاتها من الحمرة والصفرة ونحوها (٣)

المطلب الثاني

دلالات الألوان في القرآن الكريم تنازليا

تحتل الالفاظ ذات العلاقة باللون حيزا واسعا في اللغة ، سواء منها ما كان صرفيا في دلالاته او غير مباشر ، وهذا الحيز الواسع للغة عائد الى الطبيعة الألوان وعلاقة الإنسان بها من جهة ، ومن جهة اخرى سعة انتشار هذه الألوان في الطبيعة وانعكاساتها في الضوء والظلام ، اما حال ألفاظ اللغة عموما فترسمت دلالات تلك الألفاظ مع ما يمكن ان يحدث من تباين في الدلالات او علاقات اخرى كالترادف وتحديدها بأسلوب موضوعي (٤) ، والتناظر شكل من أشكال العلاقات الدلالية فالكلمات عينها قد يكون لها معان مختلفة ، إن مجرد اختلاف المعنى ليس في حد ذاته أهمية كبيرة ، إنما تمكن أهمية الاختلافات في كونها مرتبطة بطريقة أو بأخرى . والألوان ربط حالها مع هذه الظاهرة اللغوية ، فقد ترسمت معالمها ودلالاتها في أذهان اهل اللغة ومخيلاتهم، فأخذت تؤدي وظيفتها اللغوية ، وتشيع على الألسن حسب ترابطها مع الفكر وما يخلج معها في النفس البشرية ،

(١) الطبري ابو جعفر محمد بن جرير ، (١٩٩٢) جامع البيان في تأويل القرآن ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٠/٦٢٦

(٢) النحل ٦٩ .

(٣) الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر ، (د.ب) . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر ، القاهرة ٣/٣٠٧

٤) الجرجاني ، الشريف علي بن محمد السيد (١٩٩١) . التعريفات ، تحقيق : عبد المنعم الحفني ،
دار الرشاد القاهرة ، ص ٥٠

لذا لم تعد الدلالة اللغوية مجردة في الفهم بل تعدى ذلك الى أبعاد نفسية ذاتية ،
وأحيانا تشكل مورثا جمعيا في فكر الجماعة البشرية (١) .

إن ورود الألوان في القرآن الكريم بالجمع أكثر من الأفراد ، يمكن ان نلمح
منه ان الاقتصار على لون واحد ليس جماليا ، ولا متعة ، و استشفافا واضحا
لقدره الخالق ، فإن شمول لون واحد في العالم ، مثل فقدان كل لون ، فلا يقبل
هذا ، ولا ذاك ، إذ أنه ليس من الجمالية في شيء ، وأي ملل يمكن ان يحيط
بحياة الإنسان حين تبدو الحياة بلون واحد او بغير لون (٢) .

أما دلالات الألوان في القرآن الكريم تنازليا فقد برزت سبعة ألوان في القرآن
الكريم ، ضمن خمس وخمسين آية منزلة في تسع وثلاثين سورة موزعة على
ست وثلاثين ، وتكررت ست سور بآيات عدتها ثماني عشرة آية مناصفة بين
مكية ومدنية .

اولا : اللون الأبيض

ويأتي اللون الأبيض في المرتبة الاولى تكرارا في القرآن الكريم ، وقد
ذكر ١٢ مرة يعادل اثنتي عشرة آية يعادل فيها

- ١ . تحديد وقت الفجر الحقيقي من الوهمي إذا كان في وقت الفجر .
- ٢ . يعادل وجوه اهل السعادة يوم القيامة .
- ٣ . يعادل بعض الأمراض مثل ذهاب سواد العين عن الحزن الشديد .
- ٤ . وبه معجزة موسى عليه السلام وبابيضاض يده من غير سوء
(برص) .
- ٥ . يعادل لون بعض الجبال .
- ٦ . يعادل لون مشروبات اهل الجنة .

(١) حمدان ، دلالات الألوان في شعر نزار قباني ، ص ٤٠

(٢) حمدان ، الضوء واللون في القرآن الكريم، ص ٢٧

قال الراغب : البياض في الألوان ضد السواد ، يقال أبيض يبيض ابيضاضا وبياضا ، فهو مبيض وابيض . قال – عز وجل :- (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (١) . بمعنى ان الذين ابيضت وجوههم ، ففي رحمة الله ولما كان البياض افضل لون عندهم كما قيل : البياض افضل من السواد وأهول ، والحمرة اجمل ، والصفرة اشكل ، عبر عن الفضل والكرم بالبياض حتى قيل لمن لم يتدنس بمعاب : هو ابيض اللون (٢) .

قال الله تعالى :

١ – (وكلوا اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل) (٣) .

ويقول القرطبي : فقال بعضهم : يعني بقوله : الخيط الأبيض : ضوء النهار . وبقوله : الخيط الأسود : سواد الليل فتأويله على قوله قائل هذه المقالة : كلوا بالليل في شهر صومكم ، واشربوا ، وباشروا نساءكم . مبتغين ما كتب الله لكم من الولد ، من اول الليل إلى ان يقع لكم ضوء النهار بطولوع الفجر من ظلمة الليل و سواده . (٤)

٢ – (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) . (٥)

إن اختيار الوجه لنتعكس عليه الحالة النفسية من دون غيره من اعضاء الجسم فيه حكمة بالغة ، ليعبر عما في الجوانح من احساس وهموم وخوف وألم .

(١) ال عمران : ١٠٦

(٢) الأصفهاني ، المفردات ، ص ١٥٤

(٣) البقرة : ١٨٧

(٤) القرطبي ، محمد بن أحمد (١٩٨٥) . الجامع لأحكام القرآن ، دار التراث العربي ، بيروت ، تفسير سورة البقرة آية ١٨٧ .

(٥) ال عمران : ١٠٦

- ٣ - (واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) (١) .
- واما الذين ابيضت وجوههم بنضرة النعيم وما بشروا به من الخير ، فهم في جنة الله ونعيمها وهم باقون فيها ، لا يخرجون منها ابدا .
- ٤ - (و نزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) (٢) .
- وقال : نزع يده من جيبه ، (فإذا هي بيضاء للناظرين) وكان موسى رجلا آدم ، فأخرج يده فإذا هي بيضاء اشد بياضا اللبني من غيره سوء ، من غير برص آية لفرعون . (٣)
- ٥ - (واضم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى) (٤)
- ويقول القرطبي حديثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرّة ، عن الحسن في قول الله : (بيضاء غير سوء) قال : اخرجها الله من غير سوء ، من غير برص ، فعلم موسى انه لقي ربه . قوله : (آية اخرى) يقول وهذه علامة و دلالة اخرى غير الآية التي أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك إليه . ونصب آية على اتصالها بالفعل ، إذ لم يظهر لها ما يرفعها من هذه أو هي (٥) . وكان اللون الابيض على اليد وعين يعقوب وكأس المعين يوم القيامة ، وعلى الحور العين ، اما اليد البيضاء فكانت يد موسى عليه السلام بدليل الآيات التالية ودلالاتها .

(١) ال عمران : ١٠٧

(٢) الأعراف : ١٠٨

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن القرآن سورة الأعراف ، آية ١٠٨

(٤) طه : ٢٢

(٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تفسيره سورة طه آية ٢٢

٦ - (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) (١) .

واخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء كالثلج من غير برص ، تبهر الناظرين ونلاحظ ان كلمة " للناظرين " دليل على ان هذا البياض كان مرئياً وليس صفة للنقاء او الوضوح ، وقد اجمع المفسرين على انها كانت تتلألاً كضوء الشمس او تبعث ضياء كضوء الشمس (٢) .

٧ - (وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون و قومه إنهم كانوا قوما فاسقين) (٣) .

وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء كالثلج من غير برص في جملة تسع معجزات ، و هي مع اليد : العصا ، والسنون ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، لتأييدك في رسالتك الى فرعون وقومه أنهم كانوا قوما خارجين عن امر الله كافرين به .

٨ - (اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الريح فذائك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين) (٤)

ادخل يدك في فتحة قميصك واخرجها تخرج بيضاء كالثلج من غير مرض ولا برص واضمم اليك يدك بيضاء تلمع من غير مرض ولا برص ، ايتان من ربك إلى فرعون وأشرف قومه . ان فرعون وملأه كانوا قوما كافرين .

(١) الشعراء : ٣٣

(٢) الأسدي ، سردار محمد سعيد المعمار ، (٢٠٠١) . الإعجاز اللوني في القرآن الكريم ، بحث مقدم الى المؤتمر الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص ٩

(٣) النمل : ١٢

(٤) القصص : ٣٢

٩- (وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) (١)

وأعرض يعقوب عنهم وقد ضاق صدره بما قالوه ، وقال : يا حسرتي على يوسف وابيضت عيناه بذهاب سوادهما من شدة الحزن فهو ممتلىء القلب حزنا ولكنه شديد الكتمان له . (٢)

١٠ - (الم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها و غرابيب سود) (٣) .

وقوله تعالى : " ومن الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها " اي وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو المشاهد أيضا من بيض و حمر في بعضها طرائق وهي الجدد جمع جدة مختلفة الألوان أيضا . وقال ابن عباس رضي الله عنهما الجدد الطرائق و كذا قال أبو مالك والحسن وقتادة والسدي ومنها غرابيب سود قال عكرمة الغرابيب الجبال الطوال السود وكذا قال ابو مالك وعطاء الخراساني وقتادة وقال ابن جرير والعرب إذا وصفوا الاسود بكثرة السواد وقالوا اسود غربيب ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى : " و غرابيب سود " اي سود غرابيب (٤)

١١- (يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين) (٥) .

(يطاف عليهم بكأس من معين) اي : يتردد الوالدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة بالكاسات الجميلة المنظر، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك، وهي كاسات الخمر . وتلك الخمر ، تخالف خمر الدنيا من كل وجه ، فإنها في لونها (بيضاء) من أحسن الألوان بيضاء في لونها لذيدة في شربها .

(١) يوسف : ٨٤

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تفسير سورة يوسف آية ٨٤ .

(٣) فاطر : ٢٧

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تفسير سورة فاطر .

١٢- (كأنهن بيض مكنون) (١)

هذا وصف لنساء الجنة وأنهن بيض الأجسام بياضاً كبياض بيض النعام إذ هو أبيض مشروب بصفرة وهو من أحسن أنواع الجمال في النساء (٢)

ثانياً : اللون الأخضر

اللون الأخضر ويأتي في المرتبة الثانية تكراراً في القرآن الكريم ، وهو " من الألوان المريحة المحببة للنظر، ومنها ثبات اهل الجنة ، وهو رمز دائم للحب والأمل والخصب والخير والنماء والأمان (٣) ، وهو رابع الألوان ذكراً في القرآن الكريم وقد ورد في سبع سور وثمانى مرات ، وقد توزع اللون الأخضر على النبات ، والأرض ، والحيوان ، واللباس ، أما توزيعه على النبات مسبب عن المطر الذي تحضر النباتات به ، كما في قوله تعالى :

١- (وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً تخرج منه حباً متراكباً ومن النحل من طلعتها قنوان دانية وجنات من أعناب و الزيتون والرمان مشتبهها وغير متشابهه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ان في ذلكم آيات لقوم يؤمنون) (٤) .

وتوزع اللون الأخضر كذلك على السنابل الخضر التي وردت في رؤيا الملك كقوله تعالى :

٢- (وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خير وآخر يابسات يا أيها الملائة أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون) (٥)

٣- (يوسف أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلى ارجع الى الناس لعلهم يتعلمون) (٦)

٤) الأنعام : ٩٩

٥) يوسف : ٤٣

٦) يوسف : ٤٦

وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له : يوسف أيها الصديق فسر لنا رؤيا من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع هزيلات ، ورأى سبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلى ارجع الى الملك وأصحابه فأخبرهم ، ليعلموا تأويل ما سألتك عنه وليعلموا مكانتك وفضلك .

وتوزع على لباس اهل الجنة ، وذلك في وصف النعيم الذي ينعمون به أهل الجنة ، فجعل اللون الأخضر تعبيراً عن النعيم ، كقوله تعالى :

٤- (أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار ويطولون فيها من أساور من ذهبٍ ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً) (١) .

أولئك الذين آمنوا لهم جنات يقيمون فيها دائماً ، تجري من تحت غرفهم و منازلهم الأنهار العذبة ، يطولون فيها بأساور الذهب ، ويلبسون ثياباً ذات لون أخضر نسجت من رقيق الحرير و غليظة ، يتكئون فيها على الأسرة المزودة والستائر الجميلة ، نعم الثواب ثيابهم ، وحسنت الجنة منزلاً لهم .

ونراه هنا قد توزع على الأرض المخضرة ، كقوله تعالى :

٥- (ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير) (٢) .

و ورد في وصف الشجر الأخضر الذي يتحول في قدرة الله العجيبة ، فيطابق بين ماء ونار في قوله تعالى :

٦- (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا انتم منه توقدون) (٣) .

٧- (متكئين على رفرفٍ خضر وعبقري حسان) (٤) .

ويقول القرطبي في تفسير هذه الآية : يقول تعالى ذكره : لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات عدن ، يعني بساتين إقامة في الآخرة .

(١) الكهف : ٣١

(٢) الحج : ٦٣

(٣) يس : ٨٠

٤) الرحمن : ٧٦ ، وقد ورد في ابن منظور، لسان العرب في باب (رفف) أن والررفرف ثياب خضر يتخذ منها للمجالس وفي المحكم تبسط واحدته رفرفة ، وقال بعضهم هي الفراش والبسط وجمعه ررفارف ، ورد باب (عقر) معنى عبقري : البسط التي فيها الأصباغ والنقوش .

٨ - (عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربههم شرابا طهورا) (١) .

يعلوهم ويجمل أبدانهم ثياب بطائنها من الحرير الرقيق ، وظاهرها من الحرير الغليظ و يخلون من الخلي بأساور من الفضة ، وسقاهم ربههم فوق ذلك النعيم شرابا لا رجس فيه ولا دنس .

ولعل " التدقيق في ألفاظ هذا اللون يثبت أن اثنين من هذه الألفاظ الثمانية قد ارتبطا بلون ثياب ومجلس المؤمنين في الجنة ، بينما اقترنت الألفاظ الباقية بالنيات ، ليدل دلالة واضحة على قدرة الله المطلقة في الخلق الإعجاز في الإخصاب فالنبات الأخضر ينبت من الأرض والأرض تستمد ماءها من غيث السماء لتنتبت من كل لون وطعم ورائحة بأبهي حل ، وتروق النظر وتنعش النفس ، وتبعث فيها الأمل والحياة " فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج " (٢) .

ثالثا اللون الأسود :

هو ثالث الألوان تكراراً في القرآن الكريم وورد اللون الأسود بمشتقاته سبع مرات في القرآن الكريم ، مفرداً وجمعاً ، ومعرفاً ، ومنكراً ، فقد ذكر في سورة ال عمران في الآية (١٠٦) مرتين ، وفي البقرة الآية (١٨٧) ، وفي الآية (٢٧) من سورة فاطر ، وفي سورة النحل آية (٥٨) ، وفي سورة الزمر آية (٦٠) . واللون الأسود له عدة دلالات منها معادلته :

١ - ظلمة الليل .

٢- ويعادل لون وجوه أهل النار من العصاة والكفار والكذابين على الله .

٣- يعادل الكرب والحزن والهم .

٤- يعادل اليبوسة والفناء .

واللون الأسود من منظور نفسي يرمز إلى الحزن حيناً عند معظم الشعوب ، ويحمل إحساساً بالوحشة ، والكآبة ، الهم ، والغم ، وحيناً لا يعني الكآبة ، والحزن لأن به ترتاح النفوس .

١ (الإنسان : ٢١

٢) قرانيا ، ظاهرة اللون في القران الكريم ، ص ٨٩

واستعمله القرآن بمعنى الكآبة والهم والغم .

١ - (وكلوا اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الاسود من الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل) (١) .

وقد أشرنا إلى تفسير هذه الآية في اللون الأبيض ، ومثل هذا البيان الواضح يبين الله آياته وأحكامه للناس ، كي يتقوه ويخشوه (٢) . والخيط الأبيض : هو الفجر الكاذب و هو بياض يلوح في الأفق كذنب السرحان (٣) . والخيط الأسود : هو سواد يأتي بعد البياض الأول فينسخه تماماً . (٤)

٢- (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (٥) .

يوم القيامة تبيض وجوه أهل السعادة الذين آمنوا بالله ورسوله ، وامتلأوا أمره وتسود وجوه أهل الشقاوة من كذبوا رسوله ، وعصوا أمره . فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم توبيخاً : أكفرتم بعد ايمانكم ، فاخترتم الكفر على الإيمان ؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم .

٣- (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) (٦)

فإنه " إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً " أي كئيباً من الهم " وهو كظيم " ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن (٧) .

(١) البقرة : ١٨٧

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تفسيره سورة البقرة .

(٣) السرحان الذئب والجمع سراج ، ابن منظور ، لسان العرب ، بابل (سرج) .

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تفسير سورة البقرة .

(٥) آل عمران : ١٠٦

(٦) النحل : ٥٨

(٧) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تفسير سورة النحل .

٤ - (الم ترا ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها و غرابيب سود) (١) .

الم ترا ان الله انزل من السماء ماء فسقينا به أشجاراً في الأرض ، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفا ألوانها ، منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك ؟ وخلقنا من الجبال طرائق بيضا وحمرأ مختلفا ألوانها وخلقنا من الجبال جبلاً شديدة السواد .

٥ - (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) (٢) .

بمعنى أن يوم القيامة ترى هؤلاء المكذبين الذين وصفوا ربهم بما لا يليق به ونسبوا إليه الشريك و الولد وجوههم مسودة . أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله ، فأمتنع من توحيدهِ وطاعته ؟ بلى .

٦ - (و اذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً و هو كظيم) (٣) .

بمعنى اذا بشر أحدهم بالأنثى التي نسبها للرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله صار وجهه مسوداً من سوء البشارة بالأنثى ، وهو حزين مملوء من الهم والكرب .

رابعاً اللون الأصفر :

هو رابع الألوان تكراراً في القرآن الكريم ، وقد ذكر خمس مرات في خمس آيات وله بعض الدلالات وهي :

١ - إدخال السرور على من ينظر إلى هذا اللون إذا كان في الحيوان .

٢ - الإفساد والدمار إذا كان في الريح .

٣ - الفناء واليبوسة والتهشم اذا كان في الزروع .

١ (فاطر : ٢٧)

٢ (الزمر : ٦٠)

٣ (الزخرف : ١٧)

وقد ورد في لسان العرب أن الصفرة من الألوان معروفة تكون في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبلها ، وحكاها ابن الأعرابي في الماء أيضا والصفرة أيضا السواد وقد اصفر واصفار وهو اصفر وصفرة وغيره (١) .

والأصفر هو ثالث الألوان الحارة بعد الأحمر والبرتقالي ، وهو لون التنوير ، والحكمة والحماسة ، والتفاؤل ، الأمل ، ويمثل التركيز و الذكاء ، ويساعد في الذاكرة . (٢) ، وايضا هو رمز الشمس ، والذهب ويثير الإنسان انطباعا ايجابيا وسارا حتى قيل إن ابن عباس كان يحض على لباس النعال الصفرة ، وكان يقول : الصفرة تسر النفس (٣) .

١ – (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) (٤) .

ورد في الصحاح في شرح معنى فاقع : الفقوع : مصدر قولك فاقع ، اي شديد الصفرة وقد فقع لونه يققع ويققع فقوعا . وبقرة صفراء فاقع لونها ، اي لونها فاقع (٥) .

ويقول الدكتور محمد الأسدي موضحاً الإعجاز اللوني في هذه الآية : عندما جاء الجواب كان تأكيد على كلمة لون مرتين دليل على أن الصفار لون ، وذلك من قوله – تعالى - : "صفراء فاقع لونها " وما كان الجواب (صفراء) فقط ، وهذه مسألة أضف إلى ذلك مسألة ثانية : أن الله تعالى لم يخلق الألوان للتمييز بين شيء من غيره فحسب ، وإنما للتمتع بالألوان تسر وتبهج بدليل قوله تعالى " تسر الناظرين " (٦) .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، باب (صفر) .

(٢) الراشد ، صلاح ، (٢٠٠٥) . مقال عن الألوان ، ص ٦ .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص ٤٥١ .

(٤) البقرة : ٦٩ .

(٥) الرازي ، مختار الصحاح ، باب (صفر) .

(٦) الأسدي ، الإعجاز اللوني في القرآن الكريم ، ص ٧

٢- (ولئن أرسلنا ريحاً فأرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون) (١).

القول في تأويل قوله تعالى : (ولئن أرسلنا ريحاً فأرأوه مصفراً من بعده يكفرون) يقول تعالى ذكره : ولئن أرسلنا ريحاً مفسدة ما أنبتة الغيث الذي أنزلناه من السماء ، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حبيت به أرضهم ، واعشبت ونبتت به زروعهم ، ما أنبتته أرضهم بذلك الغيث من الزرع مصفراً وقد فسد بتلك الريح التي أرسلناها ، فصار من بعد خضرته مصفراً ، لظلوا من بعد استبشارهم وفرحتهم به يكفرون بربهم (٢) .

٣- (الم ترا ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب) (٣) .

القول في تأويل هذه الآية ، الموجهة لنبيه محمد صل الله عليه وسلم : (الم ترا) يا محمد (ان الله انزل من السماء ماء) وهو المطر (فسلكه ينابيع في الارض) يقول : فأجراه عيوناً في الارض ، وأحدهم ينبوع ، وهو ما جاش من الارض وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ثم أنبت بذلك الماء الذي أنزله من السماء فجعله في الأرض عيوناً ثم زرعا (مختلفاً ألوانه) يعني : أنواعاً مختلفة من بين حنطة و شعير وسمسم وأرز . (ثم يهيج فتراه مصفراً) يقول ثم يبيس ذلك الزرع من بعد خضرته ، (فتراه مصفراً) يقول : فتراه من بعد خضرته ورطوبته قد يبس فصار اصفر ، (ثم جعله حطاماً) والحطام : فتات التبن والحشيش ، (ان ذلك لذكرى لأولى الألباب) يقول تعالى ذكره : إن في فعل ذلك كالذي وصف لذكرى و موعظة لأهل العقول يتذكرون به . (٤)

(١) الروم : ٥١

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تفسير سورة الروم آية ٥١

(٣) الزمر : ٢١

٤ - (كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما
وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله و رضوان) (١)

والقول في تأويل قوله تعالى في هذه الآية : يقول تعالى ذكره : يبين ذلك
النبات فتراه مصفرا بعد ان كان اخضر نضرا وقوله (ثم يكون حطاما) يقول
تعالى ذكره : ثم يكون ذلك حطاما ، يعني به انه يكون نباتا يابساً متهشماً (وفي
الأخرة عذاب شديد) اي في الآخرة عذاب شديد للكفار (ومغفرة من الله و
رضوان) لأهل الايمان بالله ورسوله (٢) .

٥ - (كأنه جمالت صفر) (٣) .

وقد شبه الله شرر جهنم بالجمال الصفر ، والمقصود من التشبيه هنا العظيم ،
والنتابع ، فالشرر يتتابع في حجم البيت من الحجر ، فإذا تتابع ، ظهر كأنه
جمال صفر ترتع هنا وهناك (٤) . وهذا الوصف وإن كان المقصود به شرر
النار ، لكننا لو غرضنا الطرف عن الموصوف ، ونظرنا إلى صورة الإبل
الصفر ، وهي ترعي هنا وهناك ، لرأينا أن الصورة لا تخلو من مظهر
جمالي، إذ الإبل الصفر من أجمل الإبل ، وأحبها إلى العرب (٥) ، ولكنها
وردت هنا مشبهاً به للترهيب ، (كأنه جمالة) جمع جمالة جمع جمل . وفي
قراءة جمالة (صفر) في هيئتها ولونها والعرب تسمى سود الإبل صفرا ،
لشوب سوادها بصفرة ، فقول صفرة في الآية بمعنى سود .

١) الحديد : ٢٠

٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تفسير سورة الحديد آية ٢٠

٣) المرسلات : ٣٣

- ٤) انظر : الزمخشري ، الكشاف ، ج : ٦ ، ص ١٩
- ٥) الشعيلي ، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم ، ص ٧٠

خامسا اللون الأزرق :

واللون الأزرق له بعض الدلالات :

- ١ - لون وجوه الكافرين عند الحشر من شدة أهوال ذلك اليوم .
- ٢ - الخوف والرغبة والوجل .

وهو خامس الألوان تكراراً في القرآن الكريم ، وقد ذكر مرة واحدة ، وقد ورد في وصف المجرمين حين يحشرون يوم القيامة ، وقد توزع على عيون أولئك المجرمين فأصبحت زرقا وهنا نلاحظ ان هذا اللون دل على ناحية سلبية ، يقول تعالى (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً) (١) .

سادسا اللون الأحمر :

اللون الأحمر له بعض الدلالات :

- ١ - لون قطع بعض الجبال .
- ٢ - ألوان الثمار بالأشجار .

وهو خامس الألوان تكرار في القرآن الكريم متساويا مع اللون الأزرق في عدد مرات ذكره وقد ذكر مرة واحدة وقد ورد في وصف الجبال ، فيقول تعالى : (الم ترا ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها و غرابيب سود) (٢) .

والجدة الطريقة في السماء والجبل ، وقيل الجدة الطريقة والجمع جدد ، وقوله عز وجل جدد بيض و حمر أي الطريقة تخالف لون الجبل ، ومنه قولهم ركب فلان جدة من الأمر إذا رأى فيه رأيا قال الفراء الجدد الخطط والطرق تكون في الجبال خطط بيض و سود و حمر كالطرق واحدها جدة (٣) .

(١) طه : ١٠٢

(٢) فاطر : ٢٧

(٣) ابن منظور ، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم ، ص ٧٢

المبحث الثالث

وسائل نقل اللون في القرآن الكريم

المطلب الأول : وسائل نقل اللون في القرآن الكريم

ونعني بوسائل نقل اللون في القرآن الكريم الطرق الفنية التي ابدعها الخالق - عز وجل - في فنون قوله في آياته المتعددة لإبراز الصور اللونية و دلالاتها بانبلاج توظيف ، وإبداع لطيف .

ولعل المحقق بآيات اللون أن يجد صنوفاً من وسائل نقل اللون في صور لونية متعددة كالتالي :

١- المستوى اللغوي :-

في مجالات المستوى اللغوي فنلاحظ مشاهدة لونية ، شواهد لغوية متعددة تعد جميعها نوافذ نطل منها لاستجلاء النص ، فينقلنا النحو إلى مشهد حال المؤمنين يوم القيامة (متكئين على رفرف خضر) (١) ، حال حذف عامله ، فتحول بعين خيالك الى هيئة اتكاء يمتشج اللون الأخضر اتكاء المعد باطمئنان نفسي ، ببعد زمني ومكاني يوم القيامة ، في الجنة إكراماً للإنسان المؤمن ، إنك كما ترى بإشعاعات الحال متكئين تطل على النص وهو يعرض مشهداً بأنساق ستة ذكرناها : فتدرك ساعتئذ تجليات النحو إذا وظف ممتشجاً بالسياق لا منعزلاً

وتقدم اللغة توكيد اللون الأسود للجبال السود الغرابيب (وغرابيب سود) (٢) ، مع أن الأصل سود غرابيب قب معرض التفات من الغائب إلى المتكلم في عرض مشهد تدبيج الألوان للتدليل على إبداع الله صنوفاً من الجبال المختلفة الألوان ، وربما تحمل دلالة الألوان البيض و الحمر و السود على الكناية عن موصوف الطرق الواضحة المسلوكة بدءاً بالبيضاء ولعلها المحجة البيضاء ثم بين (الحمراء) وانتهاء بالسوداء ، ومن اللغة أسلوب التوكيد للون البقرة الصفراء الفاقع لونها ، لتحمل بالتوكيد هذا دلالتين متضادتين سلبي وإيجاباً ، أما الإيجاب فلون أصفر يرتاح البصر لما رآه ، و أما السلب فغلا سعرها حتى لم يكادوا يشترونها .

(١) الرحمن : ٧٦

(٢) فاطر : ٢٧

وبرز الحذف والعدل في الصورة اللونية في معرض السنبلات السبع الخضر (وأخر يابسات) (١) ، ليعدل بالقول وأخر سبع سنبلات ، وأخر جمع أخرى والحذف مقدم الصورة اللونية بإيجاز الكلم وسعة معنى .

وفي قوله (هو الذي أنزل من السماء ماء) (٢) ، فتعادل ينزل في المستقبل والحاضر ، ولا ينحصر الإنزال في الماضي فحسب ، إذ لو كان كذلك فقط لمات النبات والإنسان ، ويقال مثله عن قوله تعالى وهو يصف لون وجه المشرك إذ يبشر بمولودة له أنثى (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) (٣) ، بمعنى صار وجهه ، وهو ينسحب على كل نهج نهجه ماضيا و مستقبلا والمشهد - كما ترى - بصري تراه مقطبا متبرما ونفسيا يتجرع الأسى مغتماً .

أما الجمل الاستفهامية فمتعددة منها الأسلوب التقريري " الم ترا ان الله انزل من السماء " (٤) ، والإنشائية الأمرية من الخالق إلى موسى - عليه السلام - " واضم يدك إلى جناحك " و " ادخل يدك " " واسلك يدك في جيبك " (٥) .

ثلاث جمل إنشائية إحداهن بهمزة القطع ، واثنان بهمزة صول ، لتقدم مشاهد لونية بأمر الله لإثبات الحق وإزهاق الباطل ، وطمأنة النبي بإمكانية نصره في أي وقت شاء .

٢ - التراث :-

وكان للون دوره في إبراز التراث على ما يحرص بعض الدراسة على الاهتمام كما أسلفنا ، فمن مشاهدة التراث التي قدمها اللون إبراز التعميد النصراني في مياه المعمودية وصبغته (ومن احسن من الله صبغةً) (٦) ، فتنزاح الدلالة في تفسير إلى دين الله وليس ماء المعمودية بقادر على أن يغير فطرة الله التي يعبد الله خالصا فيها .

(١) يوسف : ٤٣/٤٦

(٢) فاطر : ٢٧

(٣) النحل : ٥٨

(٤) فاطر : ٢٧

٥) وهي على التوالي : طه ٢٢ ، النمل : ١٢ ، القصص : ٣٢

٦) البقرة : ١٣٨

كما عرض للجماليات الصفر مشهدا لونيا ، مشبهاً به شرر جهنم الذي يتطاير تخويفاً للمشركين ، بالحجم واللون والحركة ، بما يشاهدونه من جمالات صفر يحونها ويرعونها وقد ألفوها تراثا وورثوها كابراً عن كابر ، كما عرض جزءاً من تراث اليهود من قبل وهم يستوصفون موسى بإلحاح عن لون البقرة ، فشدد الله عليهم ثمنها غالياً ، فما كادوا يدفعونه .

٣- العصر :-

وقد راعى القرآن الكريم نفسية الإنسان العربي في عصره الجاهلي ، فأذكرهم بحشر المجرمين يوم القيامة زرق العيون من الهول والخوف ، ذلك لأن العربي كان يكره العين الزرقاء ، لأنها تذكره بخصوصه الروم ، كما أشرنا إلى تفصيل في مادة (أزرق) (١) ، يذكره باللون ذاته في الآخرة ، كما شبه شرر جهنم بالجماليات الصفر ، كما أسلفنا ، مراعيًا ذكر الجمل ، حيوان العصر الذي يعايشه بمنافعه المتعددة ويعرفه تماما لونا وحجما و حركة ، متفرقا وجمعا .

٤- الطبيعة :-

وعرضت الألوان مشاهد من الطبيعة الملونة ، فالماء من السماء ينبت به الزرع والثمر والشجر مختلفا ألوانه ، كما عرضت ألوانا متعددة من الجبال البيض والحممر والسود ، وبرز التدبيح في المرعى الأحوى ، والجننتين المدهامتين هذا في الدنيا أما عند قيام فتنشق السماء الزرقاء عن وردة حمراء ملتهبة نارا ، كما أبرز الخالق إبداعه - عز وجل - وهو يغطش الليل فيسود ويخرج الضحى فيبيض .

كما يعرض للنحل وهو يجني عسلاً من مختلف الزهور و الثمر ، فيخرج من بطونه عسلاً فيه شفاء للناس . قوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس) (٢) .

١ (طه : ١٠٢ . وانظر زرق العيون في الجاحظ كتاب الحيوان .

٢) النحل : ٦٩

٥ - الأيدولوجيا :-

وأبرزت مشاهد اللون الايدولوجيا منها جدلية بني إسرائيل نبيهم موسى - عليه السلام - والإلحاح عليه لتحديد لون البقرة التي يريد الرب سبحانه ذبحها ، لاستنطاق القتيل ليبلغ من قاتله ، ولو ذبحوا في البداية ، أي البقرة لسدت ، لكن تعنتهم في جدالهم موسى - عليه السلام - شدد الله - تعالى - عليهم فأرشدهم إلى بقرة صفراء بالغ صاحبها في ثمنها ، حتى ملأوا جلودها ذهباً عشر مرات، فما كادوا يفعلون لغلاء سعرها (١) ، لعل هذا درس ايدولوجي في عدم إلحاح بالأسئلة التعجيزية التي تجلب سخط الله - تعالى - على عباده .

٦ - العامل النفسي :-

إن الأذواق لم تتفق في الارتياح إلى لون بعينه ، وعدم الارتياح إلى لون آخر، فما اتفق على أنه لون صاخب قوي متعب كالأحمر مثلاً ، او لون هادئ مريح كالأخضر ، قد لا تراه نفس أخرى بمثل هذه السمات ، وبمثل هذا التأثير ، ألم يصرح القران بصفرة اللهب الشديد لجهنم كأنها قصور ، مع أن الصفرة من الألوان المريحة الهادئة ، كذلك ردود الفعل الإنساني من الطمأنينة لألوان النفور من ألوان ، وعليه فأن الانسجام الواحد بين الألوان قد لا يكون له الأثر الواحد في جميع حالات النفس ، فحين تتقبل النفس الألوان قد يحدث فرحاً ، وحين لا تتقبلها تنقلب إلى حزن وأسى (٢) .

هذا وقد عرف المصريون القدماء تأثير الألوان على نفسية الإنسان، فاستخدموا اللون الأخضر مثلاً في أكفانهم ، وفي العقيدة الإسلامية ، جاءت دلالات الألوان تعبيرية او رمزية او حسية او جمالية ، وارتبط اللون بمصدرين جوهريين اولهما : النور القادم من السماء المقترن بالخالق الأعلى ، وثانيهما : الظلمة المقترنة بقبح الظلم ، والطغيان المنافي لجمال العدل و بذلك فإن اللون وجماله يقترن مع وجود الضياء ، ثم يتداخل في المفهوم مع العدل ، واصبح اللون الأسود المظلم لون الحزن والألوان المشعة دالة على الحبور في الأعراف الشعبية (٣) .

١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ص ٣٩٣-٣٩٤

٢) حمدان ، الضوء واللون في القرآن الكريم ، ص ٤

٣) حمدان ، الضوء واللون في القرآن الكريم ، ص ٥

٧ - المكان والزمان والإنسان :

الألوان اختلافها وتناسقها مظهر من مظاهر الجمال الذي بثه الله -تعالى- في الكون الواسع ، وإن العالم مليء بالألوان و الأضواء فلا تقدر الأحياء على الحياة من غير ألوان ، ولا أضواء ، وإن الكون الذي تحل فيه الألوان ، والاضواء هو كون الإنسان الذي ينعم بهما ، ويلتذ لهما (١)

وتعددت الألوان فمنها : نباتي ومنه سماوي ، ومنه دنيوي ، ومنه أخروي ، ومنه مقدس ، فالمقدس طور سيناء الذي تخرج شجرة الزيتون فيه " والآخرى يوم القيامة وأهواله وأحواله حسب أعمال المؤمن والكافر في الجنة والنار . والدنيوي فالجبال المتنوعة الألوان ، موزعة على الأرض و أما السماوي فالسماوات الزرقاء تتحول إلى حمراء كالوردية إذا انشقت يوم القيامة .

وأما النباتي فالشجر و توزيعه المختلف ، والثمر مثله في أقطار الأرض وما أكثرها وابدعها ، والثمار معرض بديع للألوان .

ولقد جعل الأعراق البشرية بألوان : السود والصفرة و الحمر والبييض ، اجمل الألوان بين مخلوقات الله ، حتى وإن نفر البعض من السواد أو الاحمرار أو الاصفرار ، فالسود صبغهم الله باللون الجميل الذي يناسبهم مثل البييض ، فلا فرق بين الجمالية بين لون و لون ، ما دام التلوين يظهر في صورة بديعة .

الشعبي ، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم ، ص ٦٣

٨ - الرمز / الشفرة :-

الرمز هو تصويت خفي باللسان كالهمس ، والرمز : إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفنتين ، الرمز كل ما أشرت إليه مما بيان بلفظ أي شيء أشرت إليه بيد او عين (١) .

وقال ابن وهب : " وأما الرمز فهو ما أخفي مم الكلام ، وإنما يستعمل المتكلم الرمز في كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفشاء به إلى بعضهم فيجعل للكلمة أو الحرف اسماً من اسماء الطيور والوحوش أو سائر الأجناس او حرفاً من حروف المعجم (٢) .

وكذلك هو الشكل أو العلاقة أو الشيء المادي له معنى اصطلاحى (٣) ، هذا وقد عد ابن رشيق الرمز من أنواع الإشارة (٤) .

وقد بدأ الرمز في القران الكريم في رؤيا البقرات السبع والسنابل السبع ، فحملت الرؤيا رمزاً لا حقيقة على خطة اقتصادية مدتها خمس عشرة سنة ، ورؤيا الملك هذه مرموزة ، أو ربما تسمى مشفرة بحاجة إلى من يحل رموزها ، فكان يوسف - عليه السلام - حلالها ، وكانت رمزاً لتداعي المعاني ، إذ تذكر ساقى الملك وهو أحد سجينى الملك ممن كانا مع يوسف ، كما عبر له يوسف رؤياه من قبل فكان كما قال ، أما الآخر الذي رأى الطير يأكل الخبز من فوق رأسه فقتل ، كما عبر له يوسف - عليه السلام- رؤياه من قبل فكان كما قال أن هذه الرموز إشارات بل إيماءات تحتاج الى فك شيفرتها .

(١) ابن منظور، لسان العرب ، مادة (رمز)

(٢) الدوري ، محمد (٢٠٠٢) . دلالات اللون في الفن العربى الإسلامى ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ص ٣٤

(٣) الجندي ، درويش ، الرمزية في الأدب العربى ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٧٠

(٤) ابن رشيق القبروانى ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محيى الدين عبد الحميد، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ج١/ ص٣٠٦

ومن الرمز الكناية التي ذكرها الجرجاني " معنى المعنى " فلا نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ الذي تصل إليه بغير واسطة إنما تعني المعنى الذي يفضي بك الى معنى اخر (١) كبيض الوجوه و سودها لا على المعنى الحرفي ، إنما على دلالة تحمل على هدوء و طمأنينة المؤمن ، واضطراب الكافر و قلقه .

٩ - الصورة المركبة والمفردة :-

تنقسم صور الألوان إلى قسمين هما : صورة مركبة و صورة مفردة ، اما الصورة المركبة فنلاحظها في الألوان سلباً و إيجاباً فإذا كان اللون الأسود توزع على وجوه الكافرين ففي دنياهم وأخرتهم ، فبرزت صورهم قائمة تتحرق في جهنم السوداء كمشهد عام لها في الدنيا والأخرة سلباً ، فإذا لا نعدم أن نشهد جنتين مدهامتين أعدتا للمؤمنين يوم القيامة إيجاباً .

ومثلها الصور اللونية البيضاء ليد موسى إيجاباً ولعيني يعقوب-عليه السلام- سلباً مما يحملنا على القول أن مثل هذه الدراسات اللونية تحمل فسيولوجيا لتصب في منحى الإحساس الشخصي للفرد .

أما الصور المفردة فتجدها في إخراج اللؤلؤ والمرجان من البحر على أنها منه من الله - تعالى - على خلقه ، يستحق عليها الحمد والشكر ، أما حذف الكلام ، فأشرفنا إليه في مكانه ، مما يزيد مم سحر الكلام بقلة لفظه وكثرة معناه ، واستدعائه أبنية اللغة المتعددة لاقتناص ما جمعته شبكة علاقات اللغة المترصدة للمعنى المطلوب .

وبرزت في الألوان نمط الشخصية التي دارت حولها الصورة اللونية فكانت الشخصية الإنسانية التي ركزت على حياته أكثر مما ركزت على حياته الدنيا لان الدنيا دار ضيقة المكان وقصيرة الزمن ، قياساً بما اعده الله - تعالى - لعباده مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر و عليه فعرض الله - تعالى - مشاهد لونية لترهب الكفرة ، ليؤمنوا و يعتبروا وإلا فمالهم جهنم ترمى بشرر ، كأنه جمالات صفر كما عرض مشاهد لونية لترعب المؤمنين ليعملوا الصالحات ، ليتكئوا على الأرائك الخضراء ويشربوا مم كأس خمر لذيذة و سقياهم لبنا خالصا مم أنهار و عسلا ، جزاء بما كانوا يعملون .

(١) الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ص ٣٤٣ .

النتائج :

لقد أبرزت دراسة اللون أموراً ، مهمة ، أن اللون يعني أحد القيم الخالدة الثلاث مع الحق والعدل ، ومنها تعيين التراث شأن التعميد النصراني في مياه المعمودية ، وصبغ المولود " ومن أحسن من الله صبغة " (البقرة ١٣٨/٢) ثم انزياح الدلالة اللونية إلى تغيير لون من ألوان خلق الله تعالى . ومنها عرضت الألوان من الطبيعة الملونة وتوزعت على النبات من زرع وثمر وشجر ، مختلفا ألوانه ، فرشت النحل منه عسلا مختلفا ألوانه ، فيه شفاء للناس ، كما شمل اللون من الطبيعة الجبال ، مختلفة الألوان من بيض و سود وحمرة ، على محمل من تدييح بلاغي ، كما ابرز اللون زرق السماء وانشاقها عن وردة حمراء تتلهب ناراً ، شأنه - عز وجل - وهو يغطش الليل فيسود ، ويخرج الضحى فيبيض في ممارسة ربانية يومية من غير أن يجد فيه تعباً - حاشا لله- ولا علاجاً في إبداع يومي ، فسبحانه من بديع السموات و الأرض وما فيهن من خلق عجيب .

وأبرز اللون مشهداً من عصر الجاهلية فاذا ذكرهم بحشر المجرمين يوم القيامة زرق العيون ، من الهول والحزن فاذا ذكرهم بزرق العيون من الروم وقد كانوا على مشارف جزيرتهم العربية وكان الغساسنة العرب تحت سطوتهم ، وعرض اللون جدلية بني إسرائيل لنبيهم موسى - عليه السلام - لتعيين لون البقرة ليذبحوها فيستنطقوا القتل عن من قتله ، فالحوا عليه فشدد الله عليهم سعرها الغالي فذبحوها بعد أن ملأوا جلودها ذهباً . فكان اللون الأصغر الفاقع جميلاً لكن ثمنه من الذهب الأصفر ، لون يبهج النفس .

فاللون يتعارض داخله عن ظاهرة أحيانا ، من منحى نفسي ، فيد موسى عليه السلام جعلها الله - تعالى - بيضاء فترة قصيرة ، ليثبت للسحرة معجزة ، فأمنوا ولكنها لو بقيت كما هي بيضاء على أدمته لأبرزته أبرص على نحو من لون غير مرغوب فيه ، وإذا كان اللون الأبيض في يد موسى عليه السلام ، جاء معجزة فعاد للونه بعد المعجزة فأني سيدنا يعقوب ابيضتاً من الحزن على ولده يوسف حيناً من الدهر ، وعادتا تبصران بعد عودة ولده فلم يكن اللون الأبيض مريحا في كل احواله ، ولكنه لما استنشق ريح قميص يوسف ، عاد فقرت عينه وعاد النور اليهما ، ظاهرتان على يد نبي وعينه وكل منهما عاد إلى كان عليه بعد ان أظهر الله تعالى قدرته ، كل ذلك كان إعجاز بدلالات اللون .

وأبرزت الألوان تداعي المعاني لساقى الملك خرج من سجنه بتأويل يوسف عليه السلام له ، ونسى ما أوصاه به يوسف ليذكر عند ربه ، فمكث يوسف في السجن بضع سنين ، فتداعي المعنى للساقى لما رأى الملك البقر السمين والضعيف والسنابل الخضرة واليابسات فكان بالتداعي سببا لخروج يوسف وتملكه ، بعد عناء بدليل الألوان ومعانيها ، قادتة إلى تدبير اقتصادي فخرن قمحا بسنابل الصفر لكي لا يصيبه عفن ، او تأكله حشرات الأرض .

وعرض اللون مشهداً واسعاً كجهنم ، وهي ترمي بشرر ، كأنه جمالات صفر " جمع " دلالة إعجازية ، بلونها المصفر شررا على تقاذف متتابع بجمع جمع "جمالات" ترمى بشرر كالقصف بتتابع المقذوفات على أنها لا تنتهي ، بصورة مرعبة حجما كالقصر ولونا مصفرا مشوبا بسواد .

وعرض اللون للمكان ضيقا كالدنيا وواسعا والآخرة ، كما عرض للزمان فرماننا في الدنيا قليل ، قياسا بزمن ممتد غير محدود في الآخرة .

وانشحن اللون بتوقيت الصيام يتبين اللون الأبيض من الأسود من الفجر ، وذكر الخالق - عز وجل - من الفجر توضيحا للناس حتى لا يظن من عرض وساد انه ، على المعنى الحقيقي ، بل يدركه على المجاز من يميز بين فجر حقيقي ، يمتد ضياؤه عرضا ووهمي كذنب السرحان عموديا في الفضاء .

وأبرز اللون أهمية الشفرة مرزمة يدركها الرائي والمفسر ، فالبقرات السبع السمان والضعاف ترمز إلى سنين الخصب والجفاف ، ومثلها رؤيا يوسف عليه السلام لسجود الشمس و القمر وأحد عشر كوكبا له وهي من عناصر اللون ، هي رموز لأبوية وإخوته الأحد عشر . ففسر رمز الشفرة ، وحذره من أن يقص رؤيا على إخوانه خشية أن يبعث الحسد من مكامنه فيهم .

وأبرز اللون نمط الشخصية الإنسانية ، فتركزت عليه فب الآخرة أكثر مما هو في الدنيا لأن الآخرة هي دار القرار . وأبرزت الصورة دلالات نفسية حسب الرائي وان تماثلت الحالة ، فالصالح بحجة ان رأى نفسه يؤذن في الأشهر الحرم والطلح تقطع يده أن رأى نفسه يؤذن على ما يفسره من قوليه تعالى كما فسرها بعض العلماء .

ونظرية اللون في القرآن الكريم قبس يهتدي به في كل زمان ومكان ، فإنه سابق لجميع العلماء في كل عصر ، فإذا كان بعض العلماء يرون أن الألوان غير سبعة ، و هو صحيح ، فإن القرآن الكريم عم اللون ، ولم يحدده بقوله " مختلف ألوانه " فاحضع كل الألوان الحالية ، وما يمكن يكتشفه العلم مستقبلاً من ألوان إلى ما أبدعه الخالق العظيم – عز شأنه – تحت قوله " مختلف ألوانه" كما ذكر في آية أخرى " والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون " (سورة نحل اية ٨) إذا كانت الحيوانات المذكورة معروفة وسائل نقل البرية والبحرية والجوية ما كان منها معروفا في عصرهم وما يمكن ان يتخذ من غيرها ، واسطة نقل مستقبلا لمنافع متعددة ،

وملخص القول فإن الذي ذكرتُ من دلالة الألوان ، هو غيض من فيض دلالات من لدن كتاب الله الذي لا تنتهي أعاجيبه ولا يخلق بكثرة الرد ، وهو مائدة الماء الذي منه يطعمون ولا يشبعون . فسبحانه وتعالى عما يشركون .

المراجع :-

*. القرآن الكريم

ابن حزم ، أبو محمد ، (١٩٧٨) الاصول والفروع ، تحقق محمد عاطف العراقي وزميله ، دار النهضة العربية ط ١ .

ابن رشيق ، القيرواني ، (١٩٥٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ط ٢ ، القاهرة .

ابن سنان ، أبو محمد الخفاجي ، (١٩٨٢) . سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، (١٩٥٦) . المخصص ، الطبعة الكبرى الأميرية بولاق ، مصر

ابن سيرين ، محمد ، (١٩٩٦) . تفسير الاحلام الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ابن طباطبا ، محمد العلوي ، (١٩٥٦) ، عيار الشعر ، تحقيق : طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، القاهرة ، المكتبة التجارية .

ابن عاشور ، الطاهر (٢٠٠٠) . التحرير والتنوير ، مؤسسة التاريخ بيروت ط ١

ابن قنينة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (١٩٨٥) ، الشعر والشعراء ، تحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ابن كثير ، أبو الفداء داء إسماعيل ، (١٩٨١) تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (د.ت) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت لبنان .

ابو زيد ، علي ، (١٩٨١) ، الصور الفنية في الشعر دعبل الخزاعي ، القاهرة دار المعارف .

ابو صفية ، جاسر خليل ، (١٩٩٠) . الدقة العلمية في مسميات الألوان في اللغة العربية ، بحث قدم في مؤتمر العلمي حول الكتابة العلمية في اللغة العربية ، بنغازي ٢-٩/٨/١٩٩٠ .

الأسدي ، سردار محمد سعيد المعمار (٢٠٠١) ، الإعجاز اللوني في القرآن الكريم ، بحث مقدم الى المؤتمر الأول للأعجاز العلمي في القرآن والسنة الرياض ٢٠٠١/٤/٣٠-١٨ .

الأصفهاني ، الراغب ، (١٩٩٢) . مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق صفوان داودي ، ط١ ، دار القلم ، دمشق .

الألوسي ، شكري ، (١٩٨٥) . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ط٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

الثعالبي ، ابو منصور عبدالملك (١٩٩٢) . فقه اللغة ضبطه وعلق عليه : ياسين الأيوبي ، ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (١٩٦٩) . الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي .

جبري ، شفيق ، (١٩٦٧) . لغة الألوان ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، مج ٤ ، ص ٢٠٠ .

الجرجاني ، الشريف علي بن محمد السيد ، (١٩٩١) . التعريفات ، تحقيق : عبد المنعم الحنفي ، دار الرشاد ، القاهرة .

الجرجاني ، عبد القاهر ، (١٩٥٦) . دلائل الإعجاز ، تصحيح ، محمد رشيد رضا ، ط٤ ، دار المنار ، القاهرة .

الجرجاني ، عبد القاهر ، (١٩٥٤) . أسرار البلاغة ، المعارف استنبول .

الجزائري ، أبو بكر ، (١٩٩٤) . أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .

الجندي ، درويش ، (١٩٥٨) . الرمزية في الأدب العربي ، مكتبة النهضة القاهرة .

- حمدان ، أحمد عبد الله ، (٢٠٠٨) . دلالات الألوان في شعر نزار قباني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين .
- حمدان ، نذير ، (٢٠٠٢) الضوء واللون في القرآن الكريم : الإعجاز الضوئي - اللوني ، ط ١ ، دار ابن كثير، بيروت .
- خليفة ، عبد الكريم ، (١٩٨٧) . الألوان في معجم العربية مجلة مجمع اللغة العربية ، الأردن ، سنة ١١ ، ص ٣٦ - ٣٧ .
- الدوري ، محمد ، (٢٠٠٢) دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي ، دار الشؤون الثقافية . بغداد
- الرازي ، محمد ، بن أبي بكر بن عبد القادر ، (٢٠٠٥) . مختار الصحاح . دار المعرفة للطباعة والنشر .
- الراشد ، صلاح ، (٢٠٠٥) . مقال عن الألوان ، مجلة فواصل ، ص ٦ .
- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، (د.ب) . الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . دار الفكر ، القاهرة .
- الشعيلي ، سليمان بن علي ، (٢٠٠٧) . الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ، المجلد ٤ ، العدد ٣ ، ٢٠٠٧ .
- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، (١٩٩٢) جامع البيان في تأويل القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- العراقي ، عاطف ، (١٩٨٤) . ثورة العقل في الفلسفة العربية ، ط ٥ ، (د.م)،(د.ب) .
- غربال ، محمد شفيق و زملاؤه ، (١٩٨٦) . الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان ، بيروت ، لبنان .
- الفارابي ، محمد بن طرخان ، (د.ب) . الثمرة المرضية ، (د.ن) (د.م) .
- قرانيا ، محمد ، (١٩٩٨) . ظاهرة اللون في القرآن الكريم ، بحث نشر في مجلة التراث العربي ، العدد ٧٠ ، كانون الثاني ، يناير ، السنة الثامنة عشرة .
- القرطاجني ، جازم (١٩٨١) ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقدم محمد الحبيب بن الخوجة ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

- القرطبي ، محمد بن أحمد ، (١٩٨٥) . الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي بيروت .
- قطب ، سيد ، (١٩٩٦) . في ظلال القرآن ، ط٥ ، دار الشروق ، القاهرة .
- الكندي ، يعقوب بن إسحق ، (د.ت) . رسالة في حدود الاشياء ضمن رسالة الكندي الفلسفية ، (د.م) ، (د.ن) .
- نوفل ، يوسف حسن ، (١٩٨٥) . الصورة الشعرية ، دار الاتحاد العربي ط١ ، (د.ن) ، (د.م) .
- ياسوف ، احمد ، (١٩٩٤) . جمالية المفردة القرآنية ، ط١ ، دار المكتبي، دمشق .

